بعض المفاهيم والأسس في العمل الإسلامي

الأخ عصام العطار

تعيد (الرائد) نشر هذا المقال استجابة لرغبة عدد كبير من القراء وللحاجة المتجددة إلى تدبُّر ما ورد فيه ولأنه الأساس الذي يحدد علاقة الطلائع الإسلاميّة بسائر العاملين للإسلام

الأصل هو الإسلام والحركات كُلّها وسائل

الأصل في حياة المسلمين هو الإسلام . وكل حركة من الحركات أو جماعة من الجماعات أو حزب من الأحزاب وسيلةٌ لخدمته وإقامة نظامه وحكمه وهداية الناس به إلى سواء السبيل

ولا يجوز بحال من الأحوال أن نضع الوسيلة في مستوى الغاية أو أن نعطيَها مكانها ونُحلّها محلـــها .. فهـــذا إن حصل انحرافٌ خطير عن الإسلام نفسه ، وضلال يتّسع مداه على الأيام

وقيمة كل وسيلة من الوسائل إنما تكون بمقدار ملاءمتها للغاية وانسجامها معها وإيصالها إليها .

وبالغاية يحكم دائماً على الوسائل فتُقبل أو تُرفض ، ويستمسك بها أو تترك وتُثْبَت أو تعدّل وتطوّر

وقد تكون وسيلة من الوسائل صالحةً في زمن وغير صالحة في زمن ، ومناسبة في بلد وغـــير مناســـبة في بلـــد ، ومساعدة في حال ومعوقة في حال

المهم أن نفهم الوسيلة على أنها وسيلة ، وأن نضعها في مكانها الطبيعي لها ، وأن نجعلها في خدمة الغاية باستمرار ، وأن نحكّم فيها الغاية لا أن نحكّمها هي في الغاية ، فهذا هو الموقف الإسلاميّ المستقيم ، وهذا هو أيـــضاً الـــسبيل السليم لتقويم الوسائل باستمرار ، وتصحيحها وتطويرها وجعلها أكثر ملاءمة وأشدّ انسجاماً وأكملَ تحقيقاً للغايـــة التي وُجدت من أجلها

جماعة من المسلمين لا جماعة المسلمين

وكل حركة إسلامية أو جماعة إسلامية أو حزب إسلامي إنما هي جماعة من المسلمين وليست جماعة المـــسلمين ، لأنها لو اعتبرت نفسها جماعة المسلمين لرأت كلَّ خارج عليها ، أو عاملٍ خارج نطاقها ، خارجـــاً علـــى جماعـــة المسلمين ، بما يستتبعه ذلك من أحكام ومواقف ، وما يقود إليه من خصام وصدام هو من أشدّ ما يبتلى به المسلمون هذه الأيام

أما إذا اعتبرت نفسها جماعةً من المسلمين فإنها تقبل وجود جماعات أخرى مستقلة عنها ، وأفــرادٍ عــاملين لا ينتمون إليها ، وتعترف بهم ، وتكون مستعدة للتعاون معهم في خدمة الإسلام والمسلمين في الأمور المشتركة ، ممــا يُحلّ الوئام محل الخصام والصدام ، والتعاون محل التدابر والتناحر ، ويُقوّي بعض المسلمين ببعض في مواجهة الطاغوت ، وفي تحقيق الأهداف الإسلاميّة في المجالات المشتركة بينهم ، أو في المجالات التي يختص بها فريق دون فريق

الأخوة الإسلاميّة أخوة بالإسلام نفسه

والأخوّة الإسلاميّة إنما هي أخوّة بالإسلام نفسه ، فهي تشمل المسلمين جميعاً ، وتربط بينهم من فوق حــواجز العناوين والتكتلات والاجتهادات أفراداً وجماعات مهما اختلفت هذه العناوين والتكتلات والاجتهادات في حدود ما يسمح به الإسلام

وليست هذه الأخوّة –ولا يمكن أن تكون– محصورة بين أفراد حركة من الحركات أو جماعة من الجماعــات أو حزب من الأحزاب ، تقتصر على أفرادها ، أو تكون بالانتماء إليها وحدها

والله تعالى لا يقول في كتابه العزيز : إنّ أفراد الحركة الفلانية أو الجماعة الفلانية ، أو الحزب الفــلاني إخــوة ، ولكنه عزَّ وجلّ : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ... ﴾ [الحجرات : ١٠] إخوة بأصل الإيمان ، لا بالانتماء ، إلى هذه الجهة أو تلك أو هذا البلد أو ذاك

التعاون .. من أوجب الواجبات

والتعاون بين المسلمين حركاتٍ وجماعاتٍ وأحزاباً وأفراداً ، وموالاة بعضهم بعضاً ، من أوجب الواجبات التي أمر الله تعالى بها ، والتي تقتضيها قواعد الشريعة وأخلاق الإسلام ، وتمليها ضرورات العمل وحقائق الواقع .. فأهــدافنا الإسلاميّة وواجباتنا الأساسية وتبعاتنا الكثيرة الخطيرة في الحاضر والمستقبل أكبر من أن ينهض بها شخص بمفرده ، أو حركة من الحركات القائمة بمفردها ، بل لا بدّ لها من التعاون الصادق الدائم بين العاملين المخلصين جميعــاً ، ومــن تآزر الجهود وتكاملها .. وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب

ثمار هذه المفاهيم والأسس

هذه بعض المفاهيم والأسس الإسلاميّة التي إذا فهمها العاملون المخلصون للإسلام ، واتفقوا عليهــا ، وعملــوا بمقتضاها ، تهيأت لهم الأجواء الفكرية والنفسية ، والشروط الموضوعية الضرورية ، لتجاوز بعض العوامل الخطيرة التي تفرق بينهم ، وتشتت جهودهم ، وتضع بعضهم أحياناً في وجه بعض ، وتجعل معركتهم فيما بينهم بدل أن تكــون بينهم وبين الباطل بمختلف فئاته وصوره ، الباطل الذي يصول في بلادنا ويجول كما يريد ، ونحن خاضــعون لــه ، صابرون على ظلمه وأذاه ، قائمون عنه باســتنــزاف بعضنا بعضاً ، والكيد بعضِنا لبعض ، ومحاربة بعــضنا بعــضاً أحياناً بمختلف الوسائل والأساليب ..

وهذه المفاهيم والأسس الإسلاميّة ، تتهيأ بها أيضاً للعاملين المخلصين للإسلام الأجواء والشروط الضرورية للأخوة والتعاون الصادق الذي يحتاجون إليه جميعاً ، ويعزز مواقفهم جميعاً ، ويرتفع بهم وبحصيلة جهودهم إلى مستوى حاجة الإسلام في زمانهم ومكانهم وعالمهم وعصرهم

وإذا انطلق العاملون للإسلام –كما يجب أن ينطلقوا– من خلال الإخلاص والتجرد والعلم والــوعي والأخــوة والتعاون والولاء المتبادل .. فإن الممارسة العملية ، والخبرة الحركية ، والضرورات الواقعية ، والمواقــف المــشتركة ، جديرة بأن تشدّ المخلصين الواعين من العاملين الجادّين ، بعضهم إلى بعض باستمرار ، وبأن تعزز الجوانب المــشتركة بينهم وتوسعها على الدوام ، وبأن تسير بهم يوماً بعد يوم إلى مزيد من الوحدة في الفكر والشعور والعمل ، وبــذلك تولد في واقعنا على الزمن الحركة الإسلاميّة الواحدة المستوعبة ، وإن تعددت في نطاقها العناوين ومجــالات العمــل والاختصاص .